

تضمنين الآيات القرآنية

النازلة في الإمام علي (ع) في خطبة الغدير

م.م. أحمد جاسم ثاني
جامعة البصرة/ كلية التربية
قسم اللغة العربية

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.. لازالت مفردات الغدير والبيعة والولي والولاية والخلافة وعيد الله الأكبر... وغيرها، من المفردات الغضة الصالحة للبحث والدراسة، ولاسيما إذا كان البحث في التراث الإسلامي الأصيل المتمثل بالقرآن الكريم، وكلام المعصومين (ع) الذي تتوع بين خطبٍ ورسائل وأدعية وأحاديث وغيرها، وهذا البحث محاولة لدراسة فن بلاغي لطيف، وهو فن التضمنين، الذي وظّفه رسول الله (ص) للاستدلال على مناقب الإمام علي (ع) في خطبته المعروفة بخطبة الغدير، مما أضفى على الخطبة مزيداً من جمال اللفظ إلى جانب جمال المعنى، وأسهم في إنارة النص دلاليّاً، وقد اقتصر البحث على تضمنين الآيات النازلة في الإمام علي (ع) دون غيرها ابتعاداً عن الإطالة؛ لأن التضمنين القرآني الوارد في هذه الخطبة كثير جداً، ومن جهة أخرى فإن غاية البحث هي الكشف عن مدى ارتباط قضية الولاية بالقرآن الكريم، فيكتفي بالآيات التي نصّت على مناقب أمير المؤمنين (ع) وفسّرها رسول الله (ص) فيه.

تعريف التضمين لغةً واصطلاحاً:

التضمين لغةً: تضمَّن يتضمَّن، تضمناً، فهو متضمَّن، والمفعول مُتضمَّن، تقول: تضمَّن الوعاء الشيءَ ضمَّنه، بمعنى: احتواه واشتمل عليه، وضمَّن يُضمَّن، تضميناً، فهو مضمَّن، والمفعول مُضمَّن، تقول: ضمَّن الشاعرُ: أي أتى بالتضمين في شعره، وهو أن يأخذ شطراً من شعر غيره بلفظه ومعناه ويدخله في شعره، و"التضمين" مصدر الفعل "ضمَّن"، وهو نصُّ يأخذه الشاعر أو الناثر ويدخله في قصيدته أو مقالته بلفظه ومعناه، أو بمعناه دون لفظه، ويوظفه في سياق عمله الأدبي^١.

التضمين اصطلاحاً: ((هو إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحدهما مقتبساً أو متضمناً لدلالة الآخر، متمثلة في متن مقروء أو مسموع مثل: آية قرآنية أو حديث أو مثلٍ أو شعر أو حادثة ... إلخ))^٢.

فن الخطبة:

الخطبة: ((شكلٌ يعتمد (العنصر العاطفي) في أدواته التعبيرية: نظراً للطبيعة التي تنطوي عليها وظيفة الخطبة. إنها كلمة ارتجالية أو مكتوبة تُلقى على (حشد) خاص أو عام يُفرض فيها أن يستثير الجمهور وتجعلهم (منفعلين) بشدة الموقف الذي يستهدفه الخطيب: كالحث على الجهاد مثلاً))^٣. ويخضع بناء الخطبة لما يأتي^٤:

١- **من حيث اللغة:** ينبغي أن يستعمل الخطيب ضمير المخاطب تارةً، وينتقل إلى ضمير المتكلم تارةً أخرى؛ لأن الخطيب - وهو متكلم - يمكنه أن يحول عواطف المخاطبين إلى عواطف مشتركة بينه وبينهم.

٢- **من حيث الإيقاع (الصوت):** ينبغي اختيار الألفاظ والتراكيب المتسمة بالفخامة والدوي والصخب ونحوها من العبارات المثيرة.

٣- من حيث الصور: ينبغي التقليل من العنصر السوري إلا في حالات نادرة يتطلبها السياق، وحينئذٍ عليه أن يختار الصورة المألوفة ويبتعد عن الصور الغامضة.

٤- من حيث البناء: ينبغي أن يتدرّج بعواطف الجمهور، فينتخب من المواقف ما يُهيئ أولاً جواً تمهيدياً مناسباً للانفعال، ثم يتصاعد تدريجياً إلى المواقف الأخرى حتى ينتهي إلى قمة الإثارة العاطفية.

٥- من حيث الحجم: لا بد أن يكون حجمها محدوداً، لتحفظ بحرارة الإثارة العاطفية.

الرسول المصطفى (ص) وفن الخطبة:

يمثل كلام الرسول المصطفى (ص) قمة الفصاحة والبلاغة العربية بعد كتاب الله تعالى على الإطلاق، وهو القائل: ((أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، بَيِّدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ))^٥، وقد عُرفَ عن العرب أنهم أهل خطابة، إذ كانت الخطابة - إلى جانب الشعر - في زمن الجاهلية والإسلام تمثل ميداناً يتبارى فيه العرب لإبراز قدراتهم اللغوية، فمن الطبيعي أن يكون رسول الله (ص) - وهو أفصح العرب - بارعاً في هذا اللون الأدبي، و((حينما جاء برسالة الإسلام إنما تمّ ذلك من خلال القرآن الكريم الذي جسّد معجزةً أدبية، ومن خلال أحاديثه وخطبه التي جاءت متسمة بالكمال الأدبي حيث صرّح (ص) بأنه أفصح العرب، وهذا يعني أن كلاً من أدب القرآن الكريم والأدب النبوي، قد فرض نفسه على الساحة الأدبية، بحيث انعكس أثرهما على الأدباء))^٦.

ولم يكن بلوغه الذروة في فن الخطابة تعلّماً من ذي علم، وإنما علمه لدنّي من الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^٧، وحين يهتم بهذا الفن لم يكن اهتمامه من أجل الفن، وإنما يسخره للدعوة الإسلامية ومن أجلها، فالخطبة النبوية وسيلة دعوة هادفة لا غاية في نفسها؛ لذا فإن أثر القرآن الكريم يبدو واضحاً فيها، فكثيراً ما تتضمن خطبه (ص) ألفاظاً وتعابير ومعانٍ

قرآنية، بل آيات من القرآن الكريم، ((فقد كان الاستشهاد بالآيات القرآنية، من أبرز الملامح الفنية للخطابة النبوية، إذ كان الرسول العظيم (ص)، هو الرائد الأول في تضمين جل خطبه آيات بيناتٍ من القرآن الكريم))^٨، وهذا التضمين القرآني له أشد الأثر في المتلقين، ويمثل عنصراً مهماً من عناصر الخطبة البليغة، وبناءً على ذلك ((تظل خطب الرسول (ص) حافلة بأشد أنواع الإثارة العاطفية بالنسبة إلى الجمهور، وليس بالنسبة إلى النبي (ص)؛ لأن النبي (ص) يعتمد البُعد العقلي في تعامله مع الله تعالى وبحيى مبادئ الله في كيانه أجمع، أما البُعد العاطفي فيستثمره (ص) من أجل الناس، أي أنه يخاطبهم بلغتهم وعواطفهم لا بعاطفته ولغته (...))^٩.

الغدير والقرآن الكريم:

ارتبط الغدير بالقرآن الكريم أشد الارتباط؛ لأنه يمثل قضيةً في بالغ الأهمية من الشريعة الإسلامية، ألا وهي (الخلافة الكبرى) التي بها كَمُل الدين وتمَّت النعمة. وقد شاء الله تعالى أن تبقى هذه النعمة غضةً لا تبليها الدهور، ولا يأتي على جدتها مر الحقب والأعوام، فأنزل فيها آياتٍ ناصعة البيان، ترتلها الأمة صباحاً ومساءً، فكأنه سبحانه في كل ترتيلة لأي منها يلفت نظر القارئ، وينكت في قلبه، أو ينقر في أذنه ما يجب عليه أن يدين الله تعالى به في باب خلافته الكبرى، فمن الآيات الكريمة قوله تعالى^{١٠}:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^{١١}.

٢- ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^{١٢}.

اسم الخطبة:

هي خطبة الغدير، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى (غدير خم)^{١٣}، وهو المكان الذي وقف فيه رسول الله (ص) وألقى فيه خطبته، وأخذ فيه البيعة لأمر المؤمنين (ع)،

ولفظة (الغدير) في اللغة تعني ((القطعة من الماء يغادرها السيل، أي يتركها))^{١٤}.
وتُسمى أيضاً خطبة العهد؛ لأن أمر الولاية عهدٌ معهود من الله تعالى إلى رسوله
الكريم (ص).

مقاصد النبي (ص) في خطبة الغدير:

تتلخص أهم مقاصد النبي (ص) في خطبة الغدير بالأمور الآتية^{١٥}:

- ١- ضمان استمرار خط النبوة وعدم ضياع ثمرات أتعاب النبي (ص)، وذلك بتعيين من يتولى حمل الأمانة وإدامة المسيرة النبوية.
 - ٢- بيان النبي (ص) للأمة أن مسؤولية حفظ الإسلام وأمنته تقع على عاتق خلفاء النبوة الذين اختارهم الله تعالى، والذين لهم الكفاءة التامة لأداء مهمتهم.
 - ٣- تعيين الخليفة تعييناً رسمياً على سنة الله في أنبيائه (ع).
 - ٤- رسم المنهج السياسي للمسلمين إلى يوم القيامة.
 - ٥- إتمام الحجة على المخالفين، المقصرين منهم والمعاندين.
- وهذا ما جعل يوم الغدير يوماً خالداً، وحادثة فريدة في تاريخ الإسلام، ومن أجل
هذا كان تأكيد النبي (ص) له كبيراً^{١٦}، إذ وقف في وسط الصحراء تحت رمضاء
الحجاز في حرارة الهجير منادياً القوافل قبل فوات الأوان أن لا يفترق منهم أحد،
ويعجل المتأخر منهم، فإن في الأمر خطراً عظيماً لا يقبل التأخير ولا يحتمل
التهاون؛ لأن فيه مستقبل الأمة إلى قيام يوم الدين، بل في الأمر حصاد الماضي
وحياة الحاضر ومستقبل الآتي^{١٧}، وكما قال الإمام الباقر (ع): ((بني الإسلام على
خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم
الغدير))^{١٨}.

البناء الفني للخطبة:

تميّز الخطاب النبوي برصانة البناء وجمال العبارة ودقة التركيب، ومن يقرأ خطبة الغدير يلاحظ أنها قد روعي فيها ترتيب الموضوعات، وخضعت لبناء فني يقوم على الإحكام والإمتاع^{١٩}.

فاستُهلّت بالتحميد والتمجيد والشهادة بوحداية الله تعالى:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا فِي تَوْحِيدِهِ، وَدَنَا فِي تَقَرُّدِهِ، وَجَلَّ فِي سُلْطَانِهِ، وَعَظُمَ فِي أَرْكَانِهِ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَهُوَ فِي مَكَانِهِ ... وَأَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي مَلَأَ الدَّهْرَ قُدْسُهُ، وَالَّذِي يَغْشَى الْأَبَدَ نُورُهُ، وَالَّذِي يُنْفِذُ أَمْرَهُ بِلا مُشَاوَرَةٍ مُشِيرٍ، وَلَا مَعَهُ شَرِيكٌ فِي تَقْدِيرِهِ، وَلَا يُعَاوَنُ فِي تَدْبِيرِهِ ...))^{٢٠}.

ثم التمهيد للدخول إلى موضوع الخطبة:

((وَأَقْرَأُ لَهُ عَلَى نَفْسِي بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأُودِّي مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيَّ حَذَرًا مِنْ أَنْ لَا أَفْعَلَ فَتَحِلَّ بِي مِنْهُ قَارِعَةٌ ... لِأَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنِّي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ فِي حَقِّ عَلَيٍّ فَمَا بَلَغْتُ رِسَالَتَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ لِي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْعِصْمَةَ مِنَ النَّاسِ، وَهُوَ اللَّهُ الْكَافِي الْكَرِيمُ))^{٢١}.

بعد ذلك الانتقال إلى موضوع الخطبة الرئيس:

((فَأَوْحَى إِلَيَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - فِي عَلَيٍّ، يَعْنِي فِي الْخِلَافَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ). مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا قَصَرْتُ فِي تَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ، وَأَنَا أُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ جَبْرَائِيلَ هَبَّطَ إِلَيَّ مَرَارًا ثَلَاثًا يَأْمُرُنِي عَنِ السَّلَامِ رَبِّي - وَهُوَ السَّلَامُ - أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي، وَالْإِمَامُ مِنْ بَعْدِي، الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ...))^{٢٢}.

وأما بقية الخطبة فقد انتظمت في مقاطع عدة، يُفتتح كل واحد منها بعبارة "معاشر الناس"، وكل مقطع يتضمن موضوعاً محدداً، يجمعها خيط فكري واحد وهو "الولاية الكبرى".

التضمنين القرآني في الخطبة ودلالاته:

من اللافت للنظر أن هذه الخطبة المباركة تكثر فيها التضمينات القرآنية، إذ لا تجد فيها مقطعاً يخلو من معنى أو لفظ قرآني أو آية صريحة، ويمكن أن نعزو ذلك إلى عدة أسباب، منها:

١- إن طبيعة الموضوع الذي تستهدفه الخطبة هو أمر في بالغ الأهمية كما قلنا من قبل، فقد وردت عدة آيات في القرآن في هذا الموضوع.

٢- كما أن صاحب البيعة الإمام علي (ع) له علاقة حميمة بالقرآن الكريم، ونزلت بحقة آيات كثيرة في القرآن^{٢٣}، حتى قال فيه رسول الله (ص): ((علي مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يرده عليّ الحوض))^{٢٤}.

٣- ومنها أيضاً إن رسول الله (ص) في صدد إبلاغ أمر يحتمل أن يتعرض للتكذيب والعياذ بالله، وقد صرح رسول الله (ص) بذلك في الخطبة نفسها: ((وَسَأَلْتُ جَبْرِيْلَ أَنْ يَسْتَعْفِيَ لِي السَّلَامَ عَنْ تَبْلِيغِ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - لِعِلْمِي بِقِلَّةِ الْمُتَّقِينَ وَكَثْرَةِ الْمُنَافِقِينَ وَادِّغَالِ اللَّائِمِينَ وَحِيلِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْإِسْلَامِ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالْأَسْنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ))^{٢٥}، ويؤكد ذلك أنه (ص) طلب من الله تعالى أن يعصمه من الناس؛ لذلك جاءه الجواب: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^{٢٦}. وما التضمنين القرآني والاستدلال بآيات القرآن الكريم إلا وسيلة ودليل قاطع لإثبات صدق مدعاه، وأحقية هذا الأمر، وأنه أمر مباشر من الله تعالى لا من عنده.

ومن التضمين الذي يسلط الضوء على مناقب الأمير (ع)، وهو الموضوع المستهدف من الخطبة المباركة ما يأتي:

١- الإمام علي (ع) ولي المؤمنين:

((أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي، وَالْإِمَامُ مِنْ بَعْدِي، الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَيَّ بِذَلِكَ آيَةً مِنْ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^{٢٧}، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَهُوَ رَاكِعٌ يُرِيدُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كُلِّ حَالٍ))^{٢٨}.

٢- تبليغ الخلافة أمر إلهي:

((وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنِّي إِلَّا أَنْ أُبَلِّغَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيَّ فِي حَقِّ عَلِيٍّ، ثُمَّ تَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - فِي حَقِّ عَلِيٍّ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^{٢٩}))^{٣٠}.

٣- علي (ع) هو الإمام المبين:

((مَعَاشِرَ النَّاسِ، فَضَّلُوهُ، مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَاهُ اللَّهُ فِيَّ، وَكُلُّ عِلْمٍ عَلَّمْتُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ فِي إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ عَلَّمْتُهُ عَلِيًّا، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ يَس: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^{٣١}))^{٣٢}.

٤- علي (ع) يهدي إلى الحق ويرهق الباطل:

((مَعَاشِرَ النَّاسِ، لَا تَضِلُّوا عَنْهُ، وَلَا تَنْفَرُوا مِنْهُ، وَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ وَلَايَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُرْهِقُ الْبَاطِلَ وَيَنْهَى عَنْهُ، وَلَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ))^{٣٣}. وهو تضمين لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^{٣٤}.

٥- عقوبة من أنكر ولاية علي (ع):

((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ إِمَامٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ أَنْكَرَ وَلَايَتَهُ وَلَنْ يَغْفِرَ لَهُ، حَتْمًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذَابًا نَكْرًا أَبَدَ الْأَبَادِ وَدَهْرَ الدُّهُورِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُخَالِفُوهُ فَتَصْلُوا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ))^{٣٥}. وهو تضمين لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^{٣٦}.

٦- لعنة الله وغضبه على من عادى علياً (ع):

((أَلَا إِنَّ جَبْرِئِلَ خَبَّرَنِي عَنْ اللَّهِ تَعَالَى بِذَلِكَ وَيَقُولُ: « مَنْ عَادَى عَلِيًّا وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي وَغَضَبِي », وَلَتَنْتَظِرُ نَفْسٌ مَا قَدَّمْتَ لِعَدِّ وَاتَّقُوا اللَّهَ - أَنْ تُخَالِفُوهُ فَتَنْزِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا - إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾^{٣٧}))^{٣٨}.

٧- علي (ع) هو جنبُ الله:

((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ جَنْبُ اللَّهِ الَّذِي ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ تَعَالَى - مُخْبِرًا عَمَّنْ يُخَالِفُهُ -: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^{٣٩}))^{٤٠}.

٨- علي (ع) مفسر القرآن:

((مَعَاشِرَ النَّاسِ، تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ، وَانْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَاللَّهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلَنْ يُوضِحَ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بَعْضُهُ وَرَافِعُهُ بِيَدَيَّ (...))^{٤١}. وهو تضمين لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^{٤٢}.

٩- بولايته (ع) كَمَلَ الدِّينُ وَتَمَّتِ النِّعْمَةُ:

((اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ الْآيَةَ فِي عَلِيٍّ وَلِيِّكَ عِنْدَ تَبْيِينِ ذَلِكَ وَنَصْبِكَ إِيَّاهُ لِهَذَا الْيَوْمِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^{٤٣}، وَقُلْتُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^{٤٤}، وَقُلْتُ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^{٤٥}. اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ))^{٤٦}.

١٠- تحذير من لم يَأْتِ به وبالأئمة من بعده (ع):

((فَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ وَبِمَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ وَلَدِي مِنْ صَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾^{٤٧}))^{٤٨}.

١١- منزلة علي (ع) في القرآن الكريم:

((وَمَا نَزَّلَتْ آيَةٌ رِضَى فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِيهِ، وَلَا خَاطَبَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بَدَأَ بِهِ، وَلَا نَزَّلَتْ آيَةٌ مَدَحٍ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِيهِ، وَلَا شَهِدَ اللَّهُ بِالْجَنَّةِ فِي ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾^{٤٩} إِلَّا لَهُ، وَلَا أَنْزَلَهَا فِي سِوَاهُ، وَلَا مَدَحَ بِهَا غَيْرُهُ ... وَفِي عَلِيٍّ - وَاللَّهِ - نَزَّلَتْ سُورَةُ الْعَصْرِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾^{٥٠} إِلَّا عَلِيٌّ الَّذِي آمَنَ وَرَضِيَ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ))^{٥١}.

١٢- علي (ع) نور من الله تعالى:

((مَعَاشِرَ النَّاسِ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^{٥٢}. مَعَاشِرَ النَّاسِ، آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ^{٥٣}، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾^{٥٤}، ... مَعَاشِرَ النَّاسِ، النُّورُ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَسْلُوكٌ فِيَّ، ثُمَّ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ الَّذِي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللَّهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنَا))^{٥٥}.

١٣- علي (ع) الصابر الشاكر:

((مَعَاشِرَ النَّاسِ، أُنذِرُكُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِي الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مِتُّ أَوْ قُتِلْتُ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ الصَّابِرِينَ، أَلَا وَإِنَّ عَلِيًّا هُوَ الْمُوصُوفُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدِي (مِنْ صَلْبِهِ))^{٥٦}. وهو تضمين لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^{٥٧}.

١٤- علي (ع) الصراط المستقيم بعد رسول الله (ص):

((مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَنَا صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ، ثُمَّ عَلَيٌّ مِنْ بَعْدِي، ثُمَّ وَلَدِي مِنْ صَلْبِهِ أَيْمَةُ الْهُدَى، يَهْدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾^{٥٨} إِلَى آخِرِهَا، وَقَالَ: فِي نَزَلَتْ وَفِيهِمْ - وَاللَّهُ - نَزَلَتْ، وَلَهُمْ عَمَتْ وَإِيَّاهُمْ خَصَّتْ، أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ))^{٥٩}.

وأخيراً يصرّح رسول الله (ص) بأن فضائل الإمام علي (ع) عند الله كثيرة: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ فَضَائِلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ فِي الْقُرْآنِ - أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهَا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، فَمَنْ أَنْبَأَكُمْ بِهَا وَعَرَفَهَا فَصَدَّقُوهُ))^{٦٠}.

الخاتمة:

وفي الختام يمكن القول إن مسألة الخلافة والولاية هي مسألة قرآنية ولا تقبل أدنى شك، وقد استطاع رسول الله (ص) ببراعة أدبه وبلاغة أسلوبه أن يصوغها صياغة فنية في خطبته، ويرصّع هذه الخطبة بالآيات القرآنية النازلة في الإمام علي (ع)، المتضمنة مناقبه، فجاء هذا التضمين متجانساً تماماً مع سياق الخطبة المباركة التي دارت حول محور فكري مفاده: عليّ إمام وولي وخليفة بنص الكتاب والسنة. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

مصادر البحث:

القرآن الكريم.

- ١- أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني، ط/١، ١٤٢٤ هـ، مؤسسة السبطين (ع) العالمية، مطبعة محمد، قم.
- ٢- آيات نزلت في الإمام علي (ع)، الشيخ مكارم الشيرازي، ط/١، ١٤٢٦ هـ، دار جواد الأئمة، بيروت - لبنان.
- ٣- بيعة الغدير، محمد باقر الأنصاري، ط/١، ١٤٢٢ هـ، منشورات دليل ما، قم.
- ٤- حُطِبَ الرسول الكريم محمد (ص) دراسة توثيقية تحليلية، رسالة ماجستير، مصعب نوري محمود العزاوي، كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد، ٢٠٠٤ .
- ٥- الغدير رحلة التاريخ والمستقبل، الحاج أحمد مصري، ط/١، ٢٠٠٣ م، دار الغدير، قم.
- ٦- الغدير، الشيخ الأميني، ط/٤، ١٩٧٧ م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٧- القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، ط/١، ١٤١٤ هـ، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران.
- ٨- الكافي، الشيخ الكليني، ط/٥، ١٣٦٣ ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- ٩- لسان العرب، ابن منظور، ط/١، ١٤٠٥ هـ، دار إحياء التراث العربي.
- ١٠- مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، ط/١، ١٣٨١ ش، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الأستانة الرضوية.
- ١١- المعارف، ابن قتيبة الدينوري، ط/٢، ١٩٦٩ م، دار المعارف بمصر.
- ١٢- المعجم الأوسط، الطبراني، (د.ط)، ١٤١٥ هـ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٣- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ط/١، ٢٠٠٨ م، عالم الكتب، القاهرة.
- ١٤- نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير، أمير التقدومي المعصومي، ط/١، ١٤٢١ هـ، مؤسسة مولود الكعبة، بيروت.

هوامش البحث:

- ^١ - ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، (ضمن): ١٣٧٠ - ١٣٧١ .
- ^٢ - القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٢١٧.
- ^٣ - المصدر نفسه: ٢٩٣.
- ^٤ - ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٤.
- ^٥ - المعارف، ابن قتيبة الدينوري: ١٣٢.
- ^٦ - مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٣٠.
- ^٧ - النجم: ٥-٣ .
- ^٨ - حُطِبَ الرسول الكريم محمد "ص" دراسة توثيقية تحليلية، رسالة ماجستير، مصعب نوري محمود العزاوي، كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص: ٩٥ .
- ^٩ - أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني: ١٢٦.
- ^{١٠} - ينظر: الغدير، الشيخ الأميني: ١ / ٢١٤، وينظر: آيات نزلت في الإمام علي "ع"، الشيخ مكارم الشيرازي: ١١-٢٧-٣٣.
- ^{١١} - المائدة: ٦٧.
- ^{١٢} - المائدة: ٣.
- ^{١٣} - ((تقع منطقة "غدير خم" في صحراء فسيحة على مسير السيول في وادي "الجحفة"، حيث يجري هذا المسيل من الشرق إلى الغرب في الشتاء، ويمرُ بمنطقة الغدير، ثم ينتهي منه إلى الجحفة ثم منه إلى البحر الأحمر فيصب فيه. وفي مسير هذه السيول تتولد بعض الواحات والغدران الطبيعية من تجمع المياه المتبقية في مخازن طبيعية للمياه طيلة العام، ويطلق على كل واحدة منها اسم "الغدير". وهناك العديد من الغدران في الحجاز، ويتميز "غدير خم" بأن ماءه كثير، ويوجد نبع صغير قريبه من جبل صغير، وتوجد حوله خمسة أو ستة أشجار صحراوية خضراء كبيرة من نوع "السمر" صارت بأغصانها الكثيفة وقامتها الباسقة مكاناً ظليلاً في تلك الصحراء، فاتخذوها مكاناً لنزول النبي (صلى الله عليه وآله) ونصبوا له المنبر فيه ((. بيعة الغدير، محمد باقر الأنصاري: ٢٠-٢١.
- ^{١٤} - لسان العرب، ابن منظور: ٩/٥.
- ^{١٥} - ينظر: بيعة الغدير: ٧-٨ .
- ^{١٦} - ينظر: المصدر نفسه: ٨ .

- ١٧ - ينظر: الغدير رحلة التاريخ والمستقبل، الحاج أحمد مصري: ١٠١.
- ١٨ - الكافي، الشيخ والكليني: ٢ / ٢١ .
- ١٩ - ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ١٢٩.
- ٢٠ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير، أمير التقدومي المعصومي: ٦٥-٦٦.
- ٢١ - المصدر نفسه: ٦٧.
- ٢٢ - المصدر نفسه: ٦٧-٦٨.
- ٢٣ - للمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع، راجع كتاب (آيات نزلت في الإمام علي "ع") لمكارم الشيرازي.
- ٢٤ - المعجم الأوسط، الطبراني: ٥ / ١٣٥.
- ٢٥ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٨.
- ٢٦ - المائدة: ٦٧.
- ٢٧ - المائدة: ٥٥.
- ٢٨ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٧-٦٨.
- ٢٩ - المائدة: ٦٧.
- ٣٠ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٨-٦٩.
- ٣١ - يس: ١٢.
- ٣٢ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٦٩-٧٠.
- ٣٣ - المصدر نفسه: ٧٠.
- ٣٤ - الإسراء: ٨١.
- ٣٥ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٠.
- ٣٦ - البقرة: ٢٤.
- ٣٧ - من الآية: ١٨ من سورة الحشر، والآية: ٩٤ من سورة النحل.
- ٣٨ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧١.
- ٣٩ - الزمر: ٥٦.
- ٤٠ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧١.
- ٤١ - المصدر نفسه: ٧١.
- ٤٢ - آل عمران: ٧.
- ٤٣ - المائدة: ٣.
- ٤٤ - آل عمران: ١٩.

-
- ٤٥ - آل عمران: ٨٥.
- ٤٦ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٣.
- ٤٧ - آل عمران: ٨٨.
- ٤٨ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٣.
- ٤٩ - الإنسان: ١.
- ٥٠ - العصر: ١-٢.
- ٥١ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٤.
- ٥٢ - آل عمران: ١٠٢.
- ٥٣ - إشارة إلى الآية ٨ من سورة التغابن.
- ٥٤ - النساء: ٤٧.
- ٥٥ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٥.
- ٥٦ - المصدر نفسه: ٧٥.
- ٥٧ - آل عمران: ١٤٤.
- ٥٨ - الفاتحة: ١-٢.
- ٥٩ - نور الأمير (ع) في تثبيت خطبة الغدير: ٧٧.
- ٦٠ - المصدر نفسه: ٨٤.